بنية الثقافة السودانية المعاصرة والتأثير الفكري والإجتماعي (الدراما نموذجاً)

د. اليسع حسن أحمد

من الضروري الحديث عن الثقافة وتجلياتها وتمظهراتها المختلفة وبعض وظائفها وعلاقاتها مع المجتمع الذي تنتج فيه، لكي يكون رابطاً موضوعياً ومنطقياً في فرضيات هذه الدراسة وأسئلتها، ومدى التأثير الفكري والإجتماعي فى بنية وتفكير ومنتوج المثقف السوداني الحديث ونعني به هنا، الدراميون بتخصيص أكثر، والحقل هنا هو المجتمع السوداني، وبالتالي لا يمكن بحال من الأحوال عزل الدراما والثقافة عموماً عن محيطها الإجتماعي وكذلك عن وظيفتها الإنسانية، فالدول التي ما زالت تتشكل ولم تتضح ملامحها المدنية وهويتها وقواسمها المشتركة بعد، نجد أن إنتاجها الدرامي عموماً ينحو نحو الوظيفة ,كشأن جل المجتمعات النامية وذات الحوجة الماسة للبنى التحتية وغلبة الآني والمادي اليومي, على الكوني والوجداني ليصبح بناء المكان والمتتطلبات اليومية الملحة على حساب الإنسان ومآلاته وتحدياته.

في دولة مثل السودان والتي تصنف ضمن منظومة العالم الثالث وهو مسمى للدول الأقل نمواً في العالم، تنتج فيه الثقافة (الدراما بمفاهيمها القاصرة) عادة لأداء وظيفة أو وظائف محددة، فإذا استعنا بالمسرح مثلاً كمظهر ثقافي مهم نجده وفي بداياته تم رفده بأبكار الخريجين ورموز المؤسسة الرسمية الدينية والسياسية ورجالات الحركة الوطنية لأداء وظائف مثل التعليم وإذكاء روح التحرر الوطنية، وعند ما تحقق ذلك أداروا له ظهورهم.

ولعل أكبر إشكالات الثقافة "الوظيفية" هي هجرانها من داعميها حال تحقق الوظيفة. وكذلك التعقيدات الفلسفية والقيمية في الخلط الشنيع مابين مهام الجمالي ومهام المادي اليومي المحسوس، والتفريق مابين بناء الوجدان وبناء المكان، وعدم وجود الإتساق مابين النمو المعرفي الفكري الثقافي والنمو الوجداني، ليورث نتائج قد تكون مدمرة في المستقبل .. رغم أهمية وخطورة الشأن الدرامي.

• استاذ مشارك جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

ومن نافلة القول أن العصر الإتصالي أو الرقمي الماثل الآن والذي أعطى راية الهيمنة للغرب ما هو إلا نتاج عصر النهضة الأوربي وهو عصر عقلاني محض. وكذلك عصر الرخاء "وسحائب" هارون الرشيد. وهو نتاج طبيعي للعصر الأسلامي الأول الزاهر عدلاً وعلماً.

لكن الحديث عن الوظيفة والوظيفية لا نعني بها تخلي الفن–الدراما والثقافة عموماً–عن رسالته في الوجود ولكن ننأي به عن تحميله مهام عجولة وآنية "انتهازية". علماً بأن هناك اتجاهات نقدية متعارف عليه تمهد لوظيفة الفن في الحياة فمثلاً الناقد (أبرام Abrams)(أنظر ارثرابرا برجر (2003 ص 56–60.) في كتابة المرآة والمصباح: النظرية الرومانتيكية والتراث The mirrors and the lamp: romantic theory and pragmatic the theatre of art. تفرض هذه النظريات أن الفن له وظيفة يقوم بها من قبيل تعرفنا بالحياة وغرس القيم الفاضلة والأخلاقية وإقناع المتلقي بأداء أفعال معينة ويفسر...ذلك بأن الإتجاه البراجماتي ينظم هدف المثقف ويحدد شخصيته.

ويرى كذلك ارتباط هذه النظريات بالمجتمع والثقافة والفن إن كان محاكاة، فالمحاكاة ترتبط أساساً بالكون (المجتمع حراك الناس والأشياء) علماً بأن الثقافة وتجلياتها المثلى في الفن عموماً والدراما على وجه التخصيص ترتبط بالنص (جدل الذات والموضوع) والقراءة ترتبط أساساً بالمتلقي ومقدار الفائدة التي يجنيها من النص الإبداعي، ومقدار تأثير هذا العمل ومقدرته على الفعل والتفاعل وبالتالي تظل (الميديا) هي التي تجمع كل تلك الوظائف وتتكامل عندها الأدوار ويتجدد دورها بمقدار قدرتها على النفاذ والتأثير.

وكذلك يذهب إيزار Isar وهو من المنادين والمبشرين بنظرية التلقيReception theoryإلى نظام فض النصوص Decoders of texts وهو نظام يذهب إلى خلق حوار بين النص والنظام الإجتماعي: فافعل الفني (يحتوي على قطبين أساسيين هما الفني Artistic والأستطيقي Aesthetic فالفني النص المبدع من المؤلف أو المنتج والاستطيقي يعني به التحقق الجمالي الذي ينجزه القارئ فالنص لا تدب فيه الحياة إلا عند ما يكون موضوعاً للإدراك) (ارثر 2003م ص 61).

وأصحاب نظريات التلقي يرون في النص خلق وولادة تحمل طابع الفاعلية والمجتمع "موقع القراءة " يعطيها طابع الإستمرار والتحول ومن ثم يظل هناك حوار وجدل وتشكل مستمر ما بين النص "كمنتج" وما بين المجتمع كقارئ وموقع، يقدم للنص معطيات وجوده وتطوره كلاهما الآخر

(دائماً هناك فضاء ناقص ومؤقت لكل طرف، فإن قيام فضاء آخر مشترك تمارس فيه هذه العلاقة حركتها أو فيه يمارس الفضاءان العلاقة بينهما، ويبرز هنا السؤال، أين ينهض هذا الفضاء المشترك؟ وكيف؟ يمكن للإجتماعي أن يمارس حركته تجاه النص، وهل يمكن للكتابة أن تنهض وتكسب صفة الديمومة خارج فضاء الإجتماعي لا نظن ذلك). (يمني العيد ص36-37).

والمسألة تبدو أكثر تعقيداً مابين الكتابة والمجتمع-والمنتج والمتلقي فالنص يبدو ثابتاً وساكناً ,وقد تشكل وفق معطيات أصبحت جزءاً من الماضي، والمجتمع يبدو متحولاً ومتعدد القراءات للنص وبالتالي يكون الأمر هو أمر جدل وحوار مستمر ومتجدد (فليس الاجتماعي خارجاً تقرأه في داخل، بل هو هذا الداخل الذي (صاره) وقد أختلف وتميز في بنية شكله، ليس من داخل وخارج، ليس من طرف وآخر يتقابلان، الكتابة في طرف والاجتماعي المتحول من طرف آخر بل الأمر برمته نص يعيش زمن الكتابة يعيش نشاطها يعيشه ويتميز كبنية شكل, يعيشه ويميزه يختلف ..وليس عيشة هذا سوى حركة وجوده التاريخي).(مهدي عامل 1973م ص245).

وبهذه المفاهيم نرى أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال عزل النص-الدراما هنا-عن محيطها الإجتماعي، فمثلاً لا يمكن قراءة المجتمع بمعزل عن ثقافته-درامته-التي أنتجها. وبالتالي تجئ القراءة للثقافة -في السودان. تنطلق من هذه المفاهيم وفي العلاقات المعقدة والشائكة بين من يكتب ولمن يكتب وكيف يكتب؟. وبالتالي التأثير العميق للمحيط الاجتماعي والفكري في بنية ووعي وتفكير المبدع-المثقف-الدرامي السوداني

السودان الحديث

السودان هو القطر المنتمي إقليمياً وجغرافياً إلى مجموعة الدول العربية ويمثل أقصى امتداد لها جنوب الصحراء الكبري. ويتألف السودان تاريخياً من أربع مجموعات متميزة ويمكن إجمالها في (المجموعة البجاوية والمجموعة النوبية والمجموعة العربية والمجموعة الزنجية، وهم يمثلون نموذج من نماذج الكيان المركب، على اعتبار حرص كل مجموعة على ذاتها والقبول بروابط تجمعهم وتلم شملهم في إطار موسع، كفل معنى الوحدة أو التماس والتوحد). (صلاح الدين علي الشامي ط2 2000م).

ويمثل الإسلام الديانة الأولى والسائدة مع وجود أقلية مسيحية ووثنية. وتبعاً لذلك صارت اللغة العربية هي اللغة الأولى وحتى القبائل التي تركن إلى لهجاته الخاصة أن لم نقل لغتها تتواصل فيما بينها باللغة العربية الهجين.

ويؤرخ لتلك السيادة التاريخية باتفاقية البقط الشهيرة (م625) حيث فتحت هذه الإتفاقية الباب لتنظيم علاقات سياسة واقتصادية على مدى ستة قرون حتى سقوط دولة علوة المسيحية على يد عبد الله جمّاع وقيام مملكة الفونج وهي نقطة مؤثرة في التاريخ السوداني إذ (ولد نوع من الاستقرار والثقافة والوحدة السياسية مهّد إلى نشر الدين الأسلامي والثقافة العربية بطريقة أعمق وأشمل مماكان عليه الحال من قبل)(يوسف فضل حسن ط4 1992م).

والسودان تشكل بحدوده المتعارف عليها في العام1916م (حتى 2009م تاريخ انفصال الجنوب تحت مسمى دولة جنوب السودان حسبما أفضت إليه إتفاقية نيفاشا الشهيرة الموقعة بالعاصمة الكينية نيروبي في العام 2005م) وذلك بعد ضم دارفور غرب السودان عقب مقتل سلطانها علي دينار على يد الجيش الإنجليزي الغازي. ويؤرخ للسودان الحديث تلك الدولة التي قامت بعدها ماعرف في التاريخ السياسي بالغزو التركي المصري(1921م)، وإخضاعه لعدة دويلات وممالك لسلطة مركزية واحدة عاصمتها الخرطوم. وظل بالتالي السودان الحديث يتشكل على أثر الأفريقانية والعربية..

المرتكزات الإجتماعية

يتعرض المثقف في المجتمع إلى عدة مؤثرات، تحدد مسارات حركة التغيير فلا يوجد مجتمع في حالة ثابتة، فالجنس البشري عند استعماره لمكان جغرافي محدد "دولة" يحمل شروط بقائه وتطوره والتحول هو علاقة الزمن بالمكان الجغرافي المعين. والزمن يحدد وتيرة الفعل أو الحركة في اتجاه قضية مقصودة أياً كان نوعها ثقافي، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، إعلامية، لذلك ربط ابن خلدون كل منطقة بحركة الأفراد تجاه الحرف والصناعات كأن تكون "بطيئة" كالمناطق الحارة أو "سريعة" كالمناطق الباردة، وأعتبر ابن خلدون أن الحرارة تبطئ التطور واللسلوكيات وارتبطت هذه "الحتمية" الجغرافية بالزمن (إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال،وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول)(عبد الرحمن عزي 1995م).

فالتحولات التي تطرأ على مجتمع ما قد تكون بتأثيرات داخلية حركة المجتمع الذاتية وتراكم خبراته ووعيه وتمدده على مستوى المكان وعلى مستوى الأسر وتعاقب الأجيال.

وأيضاً هناك تأثيرات خارجية مثل وسائل الإتصال وتبادل الأفكاروالثقافات والتداخل والتبادل وحركة التدافع ما بين الدول والجماعات والأفراد.

لذلك أعتبر المفكر الجزائري مالك بن نبي أهمية الزمن واستقلاله ضروري في أي عملية تغيير أو تحول اجتماعي، فالزمن آيل إلى صيرورة (والشمس تجري لمستقر لها)(يس الآية 38) وما دام المكان ثابت فإن الزمن يمثل أهم عناصر الحضارة (الإنسان. الأرض. والزمن. فثقافة أي أمة أو مجموعة سلوكاً وتفكيراً وإنتاجاً وعلاقات تبنى على هذا الجدل المستمر بين الإنسان والأرض. والزمن الأرض–المكان فهو ثابت والزمن هو الذي يحدد حركة الإنسان وقدرته على التغيير فالإنسان مفكر متجدد واع)*. فكثير من آيات القرآن الكريم حفلت بتدافع الناس بعضهم بعضاً وحركة الكواكب/ الصلاة كتاباً موقوتاً/ الصيام والحج وكذا.

أن ثقافة أي مجتمع هي التي تحدد في المقام الأول في مدى قدرته على التغيير والتحول والتفاعل. كذلك أن الثقافة يجب الإشارة هنا لمفهومها ودلالاتها وقدرتها على قيادة التحولات الإجتماعية وإن كان للتغيير السياسي والإقتصادي..الخ كما سبق القول المساهمة الفاعلة في تشكل التحول، لكن مظاهرة–أي التحول–تتجلى في الثقافة فالثقافة–المفهوم. يعتبر من المفاهيم الحديثة في الاستخدام العربي لها. فهي كلمة مولدة مشتقة من المعنى المجاز لكلمة Cultureوهي بدورها تعني في الأصل الفلاحة، فمن فلاحة الأرض، إلى تنمية بعض القدرات العقلية بالتدريب والمران ثم لتدل على مجموعة المعارف المكتسبة التي تمكن من تنمية روح النقد والقدرة على الحكم.

(لقد نقلت الثقافة من زراعة الأرض واستقلال خيراتها إلى تدريب الفكر وجني ثمراته من "نتاج الأرض" إلى "نتاج الفكر" وسرعن ما وقع التأكيد على أن مدلولها في ميدان الفكر. يجب أن ينصرف إلى فعل الإنتاج أكثر من الإلحاح على الإنتاج نفسه، بمعنى أن المقصود منها يجب أن يكون ما يكسبه الفعل من قدرات على التفكير السليم والمحاكاة الصحيحة–بفضل المعارف التي يتلقاها والتجارب التي يخوضها، لا ما يضمه الفكر بين طياته من متنوع المعارف وكثير المعلومات) (مالك بن نبي 1979م ص43–46).

بينما الجابري يذهب للمدلول المتغير لا الثابت للثقافة لنشاطها الإجتماعي لا لتفسيرها، وبالتالي الثقافة هنا، لما ينتجه المجتمع في حراكه وكسبه والمجتمع ينتج عند ما يتحول، بتغير، يتحرك. وبالطبع تمثل الدراما أكثر تجليات الثقافة حضوراً وتأثيراً.

المرتكزات الإجتماعية في السودان الحديث حتى 1940.

فترة الأربعينيات شهدت اكتمال ونضوج الحراك الإجتماعي، الثقافي، خاصة حركات التحرر الوطني، وعالمياً شهدت الفترة التهيؤ للتحول الكبير والخطير على كافة المستويات وظهور عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية.

فالسودان مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين شهد نهاية الدولة الوطنية المهدية ودخول البلاد في عهد الإستعمار الإنجليزي المصري والتي تعتبر–أي المهدية (استمرار للتقاليد السودانية بشأن إقامة الممالك الوطنية والتي قامت منذ عهد مروي) (محمد عمر بشير ط2 1987م ص22).

ويمثل العهد الإستعماري تحولاً كبيراً وشاملاً في مختلف مناحي الحياة خاصة وإن بداياته شهدت أولى ظهور قادة سودانيين جدد. بدلاً من رموز الدولة المهدية والتي شهدت في نهاياتها– عهد الخليفة عبدالله تورشين، صراعاً مريراً بين أولاد الغرب وأولاد البحر، تركت جراحاً غائرة تؤججها النخب كما خبت لترتبط للأسف بالمصالح الذاتية الضيقة والمكاسب الشخصية ليهلك على أثرها النسل والحرث والضرع ,وكذلك شهدت ذات الفترة مجاعة "سنة1406هـ وتدهور إقتصادي. كل ذلك وغيره أدى إلى ظهور حلفاء جدد مثل المراغنة (إذ قام مائة جندي على ظهور جمالهم بقيادة المبماشي مكريل وولكنسون بمرافقة السيد علي الميرغني من سواكن عن طريق خور بركة إلى الخرطوم) (محمد عمر بشير ص68).

ومرافقة السيد علي الميرغني وهو زعيم طائفة الختمية المعروف في السودان. تعني ظهور تيار ديني آخر مقابل طائفة الأنصار. وهو ما عرف في السودان السياسي والحزبي. بطائفتي الأنصار والختمية والتفت الإنجليز أول عهدهم للتغيير الثقافي والفكري ومحو آثار الثقافة المهدية ومحاولة خلق مجتمع مدني عصري.

وعشية معركة كرري والتي أذنت بإنهاء الدولة المهدية , خطط كتشنر لإنشاء كلية تحمل أسم غردون باشا والذي عرف في الأوساط الإعلامية الغربية "بقتيل الدراويش" وقد طلب من رجال البر والأعمال بإنجلترا وجميع أجزاء الإمبراطورية التبرع لهذا الغرض.

ورد القصر الحاكم في بريطاني على اللورد كتشنر مثمناً الفكرة في نوفمبر1898م. (طلبي مني أن أعبر لكم عن وجهة نظر حكومة جلالة الملكة فيما يتعلق بالكلية التي ترغبون في تشييدها بالخرطوم وأي شي يمكن أن يقال من جانب أي مواطن في هذه البلاد، لا يمكن أن

يضيف شيئاً يذكر بالنسبة للملاحظات القيمة التي أبديتها، فيما يتعلق بظروف السودان، ولكن فيما يتعلق بقيمة الرأي الذي تذهبون إليه فإن حكومة جلالة الملكة مقتنعة تماماً بالمشروع الذي أوصيت به والسياسة التي يشكل المشروع فيها جزءاً هاماً.

وإن التقارب بين الأجناس التي تقطن وادي النيل والحكومة التي يجب أن تقوم مبادؤها ووسائلها بالضرورة على النهج الغربي يعتبر إجراء في غاية الصعوبة ذلك أن يقوم على حساب موارد أبناء الجيل الحاضر من رجال بريطانيا وأولئك الذين يولدون في المستقبل.

والطريقة الوحيدة التي يمكن أن تحقق بها إعادة البناء هي أن نعطي الأجناس التي استعمرتها بريطانيا سبيلاً للإتصال بآداب أوربا.

لذلك فإن مشروعك لإقامة أداة يمكن بها تلقين المعارف الأوربية لأهالي وادي النيل، لا يعتبرفي حد ذاته أمر يدعو للإعجاب فحسب، بل أنها تمثل السياسة الوحيدة التي يمكن عن طريقها، نشر الحضارة في هذا القطر. (محمد عمر بشير ص53-54).

وكلية غردون وهي النواة الأشهر جامعة في السودان وهي جامعة الخرطوم، وهي المؤسسة التي شكلت طبقت الموظفين والمثقفين بحسبان أن خريجيها من السودانيين مثلوا أبكار الموظفين في الخدمة، ما عرف بعدها في الخدمة المدنية في السودان بطبقة الأفندية، والتي بدورها شكلت طبقة الشعراء والأدباء والكتاب والمبدعين لحد كبير.

وموافقة حكومة مملكة بريطاني على إنشاء كلية غردون. نرى إنها تمثل وثيقة بالغة الأهمية في التاريخ الوطني والإجتماعي والسياسي في السودان، وتمثل كذلك وجهة نظر الحكومة البريطانية والتي تمثل راي –أبناء الجيل الحاضر. وأولئك الذين يولدون. ذلك الرأي الذي يرى أن الطريق الوحيد الذي يعيد صياغة الإنسان السوداني والخروج به من تخلف–الدراويش– الإتصال بآداب أوربا وهو الذي ينشر الحضارة على حسب رأي فكرة إنشاء الكلية.

وهذا النزاع بين الاتصال بين آداب أوربا–وبين كراهية الدخيل . شكل لحد ما– فكر الحركة الوطنية السودانية وصراعاتها ومآلاتها وخططها ورؤاها للدولة في السودان.

وقد يكون شكل كذلك الفصام البين في السلوك والثقافة والتضاد النفسي العنيف بين ما نعتقد على الأقل ظاهريا. وبينما نمارس في حياتنا الخاصة، إذ ظللنا في حياتنا المعاصرة وخطابنا السياسي والرسمي نهتف سنين عددا ضد الدخيل والمستعمر وعلى المستوى الشخصي نسعى

حثيثاً للتعلم من الغرب والسير نحو خططه ورؤاه للتنمية والعمران ومجمل تجليات الحياة المعاصرة ليتسع الشرخ النفسي ويؤثر لحد كبير في مناهجنا في التفكير والحكم والسياسة وحتى الإبداع.

وتمظهر ذلك أيضاً في بروز التنافس الحاد بين السيد عبد الرحمن المهدي زعيم طائفة الأنصار والسيد علي الميرغني زعيم طائفة الختمية ومن ثم الإتحاديين وحزب الأمة وسباقهم المهموم على كسب المثقفين والمتعلمين، هذا الصراع وطرق التفكير والتلقي والتعلم عند المثقف السوداني جعلت تحليل كثير من الإنجليز تحمل آراءاً سالبة وقاسية للجيل المتعلم من أهل السودان.

فنجد مثلاً أن السير هارلد ...وصفاً سيئاً للمثقف السوداني متهماً أياه بالقصور في الفهم والمبالغة في الوهم وغرور يدفع بصاحبه إلى أسوأ النتائج. ويمضي ماكمايكل في القول (بالرغم أن تعلم اللغة الإنجليزية فتح أمام المتعلمين آفاق واسعة ومنوعة من الآدب، إلا أن تلك الآراء والأفكار لم تهضم وقد انعدمت ملكة النقد، التي تشذب الأفكار وتحفظ التوازن وذلك بفقدان الدراسة التاريخية والأسس الثقافية التي تساعد على تقديم النزوع للتعميم وسوء الظن في نيات الأخرين، هذا الجيل يشعر بقلق فكري، يستمد الوحي من النهضات المعاصرة.

وهي نزعة فكرية في أسوا حالاتها نوع من الحسد وفي أحسن أوضاعه شعور بالطموح البالغ من الخيال، والشباب يتصور نفسه في حلم آخاذ، عضواً وزعيماً مرتقباً لمجتمع مستنير، وما هو في الواقع غير موظف صغير بمرتب بسيط ولد في وسط إجتماعي بدائي يحتقره ومقيد في حياته المنزلية بأغلال عادات عقيمة وشاعر في غرارة نفسه أن ثقافته قشور وأحلام صحوة أوهام. وليخفف على نفسه شعوره بالتبعية يلجأ إلى اختراع خرافة عن ماضي وطني مجيد. ويرى في نفسه بطل بعث أكثر عظمة. ولكنه لا يستطيع أن يفصل مصلحة البلاد عن منافعه الشخصية المباشرة. (محمد أحمد المحجوب 2005م ص58).

أن وجهة نظر ماكمايكل هذه وان كانت تمثل وجهة نظر المستعمر لأهل البلد. لا بد من انتشالهم من وهدة التخلف إلى اللحاق بآداب أوربا كما ورد في الحديث عن إنشاء كلية غردون. لكن وجهة النظر هذه تمثل أيضاً إضاءات مهمة في توجهات وتحولات النخبة المثقفة "الانتلجنسيا" ومدى مقدرتهم على إدارة الشأن السوداني. سياسياً، واجتماعياً، وثقافياً. ولعل الفشل. الذي لازم التجارب السودانية قد يكون سببه هو جزء من رأي ماكمايكل في المثقف الذي يجيد وضع الخطط والبرامج ويجيد كذلك المقدرة على إفشالها وسوء تنفيذها. ولعل الإنكسارات التي

لازمت مسيرة الدراما السودانية وارتباطها بمجهود الأفراد لا المؤسسات وبالحوجة الآنية لا الإستراتيجية والوطنية , مرده إلى بنية المثقف ومرتكزاته.

من المحطات المهمة في مسيرة التحولات السياسية والإجتماعية في السودان ثورة 1924م وما أعقبها من نتائج، فذات الطبقة المتعلمة والتي من أجلها أنشأ التعليم الرسمي في السودان هي التي قادت ثورة 1924. عند نجاحها أعلن عن ميلاد علاقة جديدة بين المثقف وبين المستعمر، وولدت كذلك خيبة أمل كبيرة في أوساط المثقفين المتعلمين، سياسياً، لكنها أسدت فائدة كبيرة لحركة الأدب والثقافة والتعليم وبداية التفكير الجاد في وسائط أكثر فاعلية لرفع الوعي لدى المواطن السوداني وأهمها التعليم والذي لابد له من دعم وذلك بعدة سبل من بينها اللجوء للثقافة متمثلة في المسرح حينها.

وقد أثرت الأزمة الإقتصادية العالمية (1929م) في حركة التعليم والتوظيف الرسميين. ولكنها أيضاً فتحت المجال أمام محاولات التعليم الأهلي. ويمثل تولي ستيوارت 1934م حاكماً عاماً للسودان مرحلة أخرى من مراحل التحول وتطور العلاقة ما بين المثقفين والسلطة الحاكمة فستيوارت يرى ضرورة (تأسيس إدارة عاملة وفي الأعتبار الأول متقدمة، ليس بالتعاون مع السلطات القبلية بل التعاون مع الانتلجنسيا السودانية، فلم تكن الانتلجنسيا أبداً هدامة وثائرة) (محمد عمر بشير ص 161).

وتمثل هذه المرحلة "الثلاثينيات" هجرة المثقف من حقوله الأساسية، إلى السياسة بحسبانها أقصر الطرق لتحقيق الأهداف، فالثقافة كما هو معلوم تتحرك من الإنساني "الكوني" إلى الخاص "اليومي" والتغيير، للأجمل، للأحسن والأفضل" قد يحقق مراده بعد عدة أجيال، لكن يظل تغييراً منتخباً وفاعلاً يؤسس نفسه على قواعد منطقية وراسخة من القيم الجمالية والأخلاقية، فبعدما رفد الحركة الثقافية والدرامية، بكفاءات ورموز اجتماعية فاعلة، ترك هؤلاء أمر الأدب والثقافة والمسرح والتحقوا بالأحزاب وأندية الخريجين لتدخل الحركة الوطنية مرحلة أخرى، بإزدهار – الشعر وأدب الخطابة، والتكتلات السياسية خاصة بعد تشجيع الإدارة البريطانية حسب خطة استيوارت على استمالة السيد عبدالرحمن المهدي ودعمه اقتصادياً ، والذي لعب دوراً في تشجيع الأدب والثقافة، حتى أن مجلة الفجر وهي المجلة الثقافية والأدبية الوحيدة حينها ذهبت للقول (أن للسيد عبد الرحمن المهدي قدرات هائلة على إدارة البلاد سياسياً ثقافياً) (يحي الفضلي ص265).

ومن ثم بدأت الجمعيات الأدبية والثقافية في الإنطلاق وازداد الوعي القومي، رغم تحريم السلطات لكلمة سوداني واستخدام أسم القبيلة التي ينتمي إليها الشخص بدلاً عنها*.

وبعد تضييق الخناق على النشاط السياسي المباشر، لجأ المتعلمون إلى تلك الجمعيات وشهد العام 1927م قيام أول جمعية (إن هذه الجمعية رئيسها الحاكم العام ويحي الفضلي نائب الرئيس وإنها جمعية أدبية فحسب) (يحي الفضلي ص202).

وكان لعودة إسماعيل الأزهري, أول رئيس عقب الإستقلال. والذي يمثل واحداً من الرموز الوطنية التي تجد الرضا والتقدير من شرائح واسعة من المجتمع, ويكاد يجمع الناس على وطنيته وسعيه للإستقلال، كان بعودته من بعثته في الجامعة الأمريكية ببيروت أثره الكبير في إنعاش تلك الجمعيات والخروج بها إلى آفاق أوسع. فقد تولى الجمعية الأدبية في كلية غردون رغم تخصصه في الرياضيات وله اهتمام بالموسيقى.

أن الأزهري قد يكن تأثر بدراسته ببيروت، خاصة وإن لبنان والشام عموماً تمثل المركز العربي الذي بدأت منه الفنون المرئية الحديثة وعلى رأسها المسرح كما إنها كانت مركزاً مهماً للطباعة والنشر.

والدارس لكتابات محمد أحمد المحجوب رئيس الوزراء بعد الإستقلال، وحواراته الجادة فيما عرف في أدبيات التاريخ الثقافي في السودان بصراع القديم والجديد، وكذلك مقالات عرفات محمد عبدالله وكتاب مجلتي الفجر والنهضة ومذكرات خضر حمد وديوان التجاني يوسف بشير وتجديد الشاعر والناقد حمزة الملك طمبل، إن فشل ثورة 1924م برأي هؤلا المثقفين يرجع في الأساس لضعف الوعي لدى المواطن السوداني. وبالتالي لا بد من الإلتفات للتعليم والحراك الثقافي والأدبي، وضعف الوعي يفسره هؤلاء الكتاب في انعدام الوعي الثقافي والمعرفة العميقة بمكونات الثقافة السودانية وهذا الرأي لو أستقر لكان للسودان شأن آخر لكننا دائماً نستعجل النتائج.

وفي كتابات هؤلاء ومرجعياتهم ترجع في الأساس للتجربة والمران والقراءة الواسعة لمحترفي النقد الأدبي في مصر. كالعقاد في البلاغ الأسبوعي وإسماعيل مظهر في المصور وأحمد حسن الزيات في الرسالة، والعقاد كما وصفه المحجوب بأنه كان مرشدهم في بيداء تلك الحياة الشائكة، وتمثل زيارته للسودان التي ذكرها حسن نجيلة في كتابه ملاح من المجتمع السوداني مدى تأثر أهل الشأن الثقافي في السودان به. كما تابع مثقفوا أهل السودان الجدل الفلسفي بين طه حسين

وهيكل، كما إزداد بيع الصحف والمجلات المصرية في الخرطوم العاصمة , وتداول الناس كتابات أحمد أمين فجر وضحى الإسلام وكتب التراث العربي عامة ورواية الشعر.

كما صاحب ذلك إطلاع واسع على الثقافة الغربية والإنجليزية، مباشرة أوعبر التراجم وكذلك ظهور نزعات مثالية, ولعل القارئ لشعر التجاني يلحظ الإكثار من التحدث عن الحق والخير والجمال، لدرجة تصادمه مع المؤسسة الدينية. وأشتهرت في تلك المدة جمعيتان أثرتا في الثقافة كثيراً وهما جمعيتا الهاشماب وابو وف ونفرد لهم حيزاً في هذه الدراسة لتأثيرهما الكبير في الحراك الثقافي عامة.

جمعية الهاشماب.

إتخذت اسمها من حي الهاشماب بأمدرمان، وتتميز هذه الجمعية أن من بين مؤسسيها من أشتهرت أسماءهم في تاريخ الحركة الثقافية في السودان ومنهم من أسس مجلة الفجر ونلاحظ أن هؤلاء المؤسسين يمثلون بواكير التمرد على السائد خاصة المؤسسة الدينية التقليدية والعشائر، وساهموا كذلك في الإنفتاح الكبير على الثقافة العالمية متجاوزين التأثر المباشر بالثقافة المصرية ويمكن القول بأنه البداية الفعلية كذلك للتيار العريض الذي ظهر في مطلع السبعينيات من القرن العشرين ومن بين هؤلاء المؤسسين (الأخوان عبدالله ومحمد عشري صديق ومحمد أحمد المحجوب ومعاوية نور ويوسف التني وعبد الحليم محمد ويوسف المأمون وعرفات محمد عبدالله وأحمد يوسف هاشم والسيد الفيل وآخرون) (قاسم علي نور 2004م ص35).

تأثرت جماعة الهاشماب بكتابات المصري سلامة موسى والذي خاض بدوره صراعاً مشهوداً مع المؤسسة التقليدية وأشتهر بدفاعه عن المرأة وحقها في المساوة والعمل مما أدخله في إشكالات عديدة خاصة مع الأزهر. ولهم قراءات كذلك لآداب أوربا وأفكار الفلاسفة والتيارات الجديدة والمدارس الفكرية المعاصرة في العالم الغربي وقد أثارت علاقاتهم مع إدوارد عطية الموظف بقلم الإستخبارات الإنجليزية آنئذٍ الكثير من انتقاد خصومهم ومنافسيهم لدرجة اتهامهم بالعمالة، ولا سيما أن الجمعية نادت بالقضاء على السلطات القبلية ومحاربة الحزبية والطائفية ومقاومة الإدارة الأهلية وتقليص سلطات زعماء القبائل والعشائر والعمد والمشايخ.

وأن هناك ملاحظة ، مفادها أن أفكار وتوجهات حكومة مايو في نهاية حقبة الستينيات من القرن الماضي والتي حكمت السودان أثر انقلاب عسكري قادة العقيد حينها جعفر محمد نميري، تتفق لحد ما مع أفكار هؤلاء، بل وطبقتها واقعاً في مشروعها السياسي من حل الأحزاب والإدارة

الأهلية وغيرها، والملاحظة الأخرى أن معظم قادة الجمعية اشتهروا وعلى غير عادة رموز التغيير في السودان. بتوثيق تجاربهم وإنتاجهم الفكري والإبداعي، وتحتفظ المكتبة السودانية بمؤلفات لمعظمهم . وهي مؤلفات تمثل مرجعاً مهماً في رصد وتوثيق التحولات السياسية والفكرية التي شهدها السودان.

جمعية أبوروف.

تضم كذلك أبناء حي أبو روف وهم من تخرجوا من كلية غردون ونشأت (لأغراض أدبية واجتماعية وسياسية) (خضر حمد المزكرات ص29). وقد جرى العرف في أن يتنادى الأعضاء في الأسبوع مرتين في منزل أحد الأصدقاء لتدارس كتاب عربي أو إنجليزي ومن ثم يدور الحوار والتناقش حوله (وقد أطلق البعض عليهم لفظ الفابيين لنزعتهم الاشتراكية والأدبية وكانوا مشتركين كأعضاء في نادي Left Back Clip.بلندن فكان يذودهم شهرياً بالمجلات والكتب التي يصدرها. فقرأوا عن النقابات والإتحادات والحريات العامة ولقد كانوا أول من قرأعن الشيوعية قراءة صحيحة واتصلوا بالمكتبات الخاصة بها). (قاسم نور ص32).

ومما يحمد "للأوبروفيين" مساهمتهم في إثراء الحركة المسرحية وذلك بتسخير المسرح لجمع الأموال لصالح التعليم "معهد القرش الصناعي وأمدرمان الأهلية" وعرفوا بعلاقاتهم الوطيدة بمصر رغم نزعتهم الإشتراكية. وبالتالي توثيق علاقاتهم بطائفة الختمية واستنصر بهم السيد الميرغني في صراعه مع عبد الرحمن المهدي. وكانوا أعضاء مؤسسين في الحزب الإتحادي أكبر حزبين في التاريخ السياسي السوداني الحديث.

المقاهي والأندية

وهنا لا بد من الإشارة لمقاهي أمدرمان وأثرها الكبير في تشكيل وعي ومفاهيم المثقف السوداني والذي أثر بدوره في مجمل الحياة الثقافية والسياسية في السودان وكذلك رفدها الحراك الثقافي الفني بنشاط مؤثر, وكذلك شهدت هذه الفترة أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي النشاط المكثف لنادي الخريجين. (ولا يخفى على أحد أن المقاهي في ثلاثينيات القرن الماضي الأثر الواضح في اكتشاف المبدعين من الفنانين أمثال الفنان ابراهيم عوض وكان لها الأثر الكبير في نشر أغنية الحقيبة، فقد كانت ميكروفونات (الفونغرافات) بتلك المقاهي تصدح بأغاني الحقيبة وأسطوانات سرور وكرومة وزنقار وعائشة الفلاتية).(أنعام عامر 2005م ص40).

وتمثل أغنية الحقيبة في هذه الفترة مرجعاً مهماً ومرآة للمجتمع وتحولاته وحراكه الإجتماعي. وكان لدور السينما الأثر الأبرز في التأثير بثقافات ومظاهر إجتماعية وافدة فكانت تعرض الأفلام الروائية المصرية وأفلام الكابوي الأمريكية (السينما أضافت بصورة عامة لذوق السودانيين وخاصة طريقة هندامهم فظهرت ربطات العنق الأنيقة والجاكتات وعرف نجوم المجتمع من الفنانين وغيرهم بيوت الأزياء العالمية). (أنعام عامر ص40).

ورموز المجتمع من الفنانين خاصة تأثر بهم الشباب في طريقة اللبس وتسريحة الشعر وغير ذلك.ومثل مقهى جورج مشرقي ملتقى هاماً للأدباء والفنانين.

وشهدت الفترة بروز نجم فريقي الهلال والمريخ الرياضيين والذين شكلا قطبي كرة القدم الى يومنا هذا ,وكذلك نادي الموردة. وتأثرت هذه الفترة كذلك بحركات التغيير العالمية فى مجال حقوق المرأة والحريات العامة وشهدت كذلك فتور أفكار التغيير بالقوة ولجأ أبكار الحركة الوطنية للشعر والمسرح والتعليم بدلاً من النشاط العسكري المباشر.

وكان للأثر الكبير للحرب العالمية الثانية في مجمل التحولات الفكرية والسياسية في العالم مدخلاً لتحولات فارقة في السودان وكذلك نضوج أفكار الأحزاب وتحديد الخيارات ودخول منافسين جدد ومؤثرين ممثلين في الفكر اليساري عموماً والحزب الشيوعي خاصةً ,وكذلك حركات الأسلام السياسي ويمثل الأخوان المسلمون بمختلف مسمياتهم وجهه البارز، وكل هؤلاء تأثر بهم المجتمع في تكتلاته وثقافاته وحروبه وسلمه كذلك وبالتالي أستجاب المبدعون وكتاباتهم لشروط وملاح تلك الفترة.

وفي أواخر الأربعينيات سقط الستار الحديدي المضروب على جنوب السودان وتم إلغاء قانون المناطق المقفولة وأيضاً كان لقيام ثورة يوليو 1952م بمصر أثر على الأوضاع بالسودان.

ويعد استقلال السودان والذي تم وكأنه انتقال سلمي للسلطة. دخل السودان في أولى مراحل الحسبية أو ما عرف بالديمقراطية الأولى.

وشهدت أيضاً الفترة تجاذباً حاداً في الأفكار والأيدلوجيات (كان كثير من أبناء السودان يعادي السياسة الأمريكية ونظرية إيزنهاور وينعطف نحو التيارات العربية السياسية التي يمثلها جمال عبد الناصر وميشيل عفلق وصلاح البيطار وأكرم الحوراني، واقترن التيار السوداني بالفكر العربي الحديث) (محجوب عمر باشري 2000م ص147)

والفكر العربي عموماً في هذه الفترة أصبح أثير لتيارات رئسية تمثلت (في التيار الليبرالي ذو النزوع القومي والتيار الأسلامي والتيار الماركسي والتيار القومي العربي) (محمد أحمد الزغبي 2007م ص61).

ولم تدم المدة الديمقراطية عقب الإستقلال سوى عامين ليستقبل السودان ما عرف في تاريخه السياسي دوامة الأحزاب والعسكر. فالشد السياسي والتجاذب الحزبي أدت إلى تسليم السلطة للعسكر بقيادة الفريق عبود، ليتم تأميم الصحف، ورغم عسكريتها والتي يسميها البعض بالديكتاتورية إلا أن مرحلة عبود شهدت تنمية وتأسيس البنية التحتية (من قيام لخزان خشم القربة والمرحلة الأولى من خزان الروصيرص وأسمنت ربك وعطبرة ومصانع السكر وتعليب الفاكهة وتمددت طرق الأسفلت وخطوط السكة حديد وأرسال الطلاب للدراسة بالخارج وزاد عدد المدارس بشكل ملحوظ). (عمر باشري ص154).

وتمت إزاحة عبود بانتفاضة مدنية عرفت بثورة أكتوبر (21 أكتوبر 1964م) لتشهد مشاركة فاعلة من المثقفين والمفكرين والشعراء والتغني للشعب وبطولاته وملاحمه وكان محمد وردي ومحمد الأمين وظهر جيل المغنيين الكبار اللذين ما زال تأثيرهم واضحاً في خارطة الغناء السوداني, وتزامن معهم جيل الشعراء جيلي عبد الرحمن والحسين الحسن وتاج السر الحسن ومحمد مفتاح الفيتوري وصلاح أحمد ابراهيم ومحمد الفكي ابراهيم ومحجوب شريف وهاشم صديق وغيرهم.

وظهرت المدارس الفنية في الشعر والمسرح والتشكيل المتأثر عربياً بمصر ما بعد نكسة 1967م. من رمزية خاصة في الشعر والدراما على يد يوسف عيدابي ويوسف خليل وغيرهم، وظهرت كذلك واحدة من أهم التيارات المتمثلة في تيار الغابة والصحراء والتي تشكل مع آخرين تتويجاً لسؤال الهوية الملح خاصة بعد التطورات في الجنوب وحركة انانيا وتمردها وكتابات آدم خاطر وابراهيم اسحق وفضيلي جماع وعالم عباس وغيرهم من مثقفي ومفكري غرب السودان، والذين تمثل كتاباتهم ولحد كبير وقوداً للأسئلة وصراع الهوية والمركز والهامش القديم المتجدد وتتعقد مشاريع الحوار الثقافي بعد أن تلفحت بعباءة النظرة السياسية الضيقة، فالمركز أصبح يمثل وفي خطأ استراتيجي فادح هيمنة الشمال بثقافته والهامش يمثل الأبعاد الأثنية في أقصى الغرب والنيل الأزرق وجبال النوبة وذلك التعقيد ومن وجهة نظر الدارس سيعاني منه الجميع لأزمان قد تطول.

وتمظهر الأيدلوجية المتأثرة بالمحيط الإقليمي والعالمي مثل جبهة الميثاق الإسلامي والتي تمثل إمتداداً لحركة الأخوان المسلمين المتأثرة بالحركة الأم في مصر وأفكار حسن البنا وسيد قطب وأيضاً تمدد الحزب الشيوعي وسط الطلاب والعمال وبالتالي أضراباتهم المتكررة ولعل الجانب الأيدلوجي الحاد وتفجر أسئلة الهوية وصراعات المركز والهامش السابق ذكرها، ولدت تيارت مهمة أثرت كثيراً في بنية المثقف السوداني ومآلات تفكيره ومشاريعه من شعر وتشكيل ودراما وغناء ويمثل تيار الغابة والصحراء والذي ظهر في عام 1963م واحداً من أهما، فمحمد المكي ابراهيم أحد رواد ومؤسس التيار يذكر (أنه التقى محمد عبد الحي ويوسف عيدابي واتفقا على تأسيس اتجاه في الشعر.

بعدها دخلت الجامعة في اضراب ... وكان هذا الشهر هو الميلاد الحقيقي لتيار الغابة والصحراء. وحدث تجاوباً كبيراً من محمد عبد الحي استطاع أن يرى بعين الشاعر عذابات الهوية). (محمد المكي ابراهيم 2008م ص76). ولعل عبارة "عذابات الهوية" ومحمولاتها الشعرية وتماسها مع الخط السياسي , وقد تكون سندا للراى القائل بتاثر وتاثير المبدعين – خاصة الشعراء – بالقبضة السياسية وإلباسها أبعادا آيدولوجية تستجيب ووعيهم المكتسب عبر القرءاة والاطلاع, والتأثر أيضا بالمحيط الاقليمي والعالمى . وقد يكون هذا المنحنى أكسب الأحزاب العقائدية رغم محدودية منتسبيها. تاثيرها الغاعل فى مجرى الأحداث والتغيرات السياسية والفكرية. وفى ذات الوقت إنعزالها عن بعدها الشعبي , فحدثت هوة كبيرة مابين آمال وأفكار وطموحات " الإنتلجنسيا" ومابين الحياة اليومية ومتطلبات العيش الملحة , وقد يكون الرأي –والقابل للحوار بالطبع واحد من معضلات أساسية وجوهرية يعانى منها السودان حتى اليوم ... وأعنى به الفصام المتجذر مابين التفكير والتخطيط والبرامج ومابين التنفيذ والواقع .

ومن ناحية أخرى بدأت الخارطة تتغير بتمدد المدن وظهور مدن جديدة وامتدادات حديثة فى الخرطوم وتعددت الصحف واتسعت التغطية الإذاعية وبداية البث التلفزيونى قبيل ثورة أكتوبر . وتعاظم الاتصال بالعالم الخارجي وازداد عدد الطلاب فى مصر وغيرها وشهدت تلك الفترة . الدور الكبير لدور السينما واستقرت على الصفحات عبارة أين تسهر هذا المساء ؟!. وتبع ذلك أنماط سلوكية وحياتية مغايرة للسائد. وعلى مستوى المسرح. انتظمت المواسم المسرحية على يد الفكى عبدالرحمن بالمسرح القومي. ان هذة الفترة قد مهدت للتحولات الكبرى فى فترة السبعينيات والتى شكلت السودان بملامحة الراهنة .

فترة السبعينيات

يعتبر انقلاب مايو 1969م أهم بدايات تلك الفترة. وشهدت بداياتها تحولات دامية بعد محاولة هاشم العطا الإنقلابية والتى أُتهم فيها الحزب الشيوعي وراح ضحية ذلك عدد من قيادات الحزب ومفكرية. النميرى وبعد تصفية قيادات الحزب الشيوعي واليسار والتى قام قبلها بتصفية اليمين وكذلك بضرب الجزيرة أبا 1970م ومن ثم إتفاقية أديس أبابا فى مارس 1972م مع المتمردين بجنوب السودان وبعدها حكم النميرى بصورة منفردة وحسم الصراع على السلطة باستثناء حركات متفرقة أهمها ماعرف بإنقلاب حسن حسين وحركة شعبان والتي أشعل فتيلها الطلاب الإسلاميون بجامعة الخرطوم وحلفائهم. ويرى البوني كذلك أن النميري وأركان حكمة لم يعرف عنهم الإنتماء الأيدلوجي على الأقل بعد منتصف السبعينيات من القرن الماضي وأستقرار نظام مايو أمنيا ساعد على نمو وتشكل الحوار الثقافي والإجتماعي.

والملاحظ أن هذه الفترة شهدت وضعاً أشبه بما حدث عقب قمع ثورة 1924م إذ انصرف المثقفون عموماً إلى القراءة والأدب وتنمية الوعي لدى المواطن. فالقارئ لصحيفتي الأيام والصحافة مطلع السبعينيات يلحظ النشاط الكثيف للملاحق والحوارات الثقافية*.

فظهرت أسماء علي المك وخلف الله حسن فضل ويس عمر الأمام وكمال الجزولي وعيسى الحلو وكتابات مصطفى سند وأشعاره وكذلك أسماء أستمرت في الكتابة والحوار حول الأدب والثقافة والدراما والشعر. عبد الله علي ابراهيم ومحمد المكي ابراهيم. وخالد المبارك ويوسف خليل وغيرهم.

ويعضد هذا المنحى الراحل محمد ابراهيم نقد. (محمد ابراهيم نقد 2007م) سكرتير الحزب الشيوعي بتأكيده بأن حزبهم انصرف عن الإنقلاب نهائياً عقب إنقلاب هاشم العطا. ولعل أن هذا القرار أفاد الحراك الثقافي والإجتماعي كثيراً فانصرف مفكري ومثقفي الحزب عن الشأن السياسي المباشر جعلهم يلجأون للشأن الثقافي والإجتماعي فتعمق الحوار وبرزت أسئلة الهوية وشهدت صفحات الصحف سجالاً ما بين اليسار عموماً واليمين ممثلاً لحد ما في كتابات الإسلاميين وظهر جيل من التيار الوسط المتبني للثقافة في مفاهيمها السودانية ويمثل الراحل أحمد الطيب زين العابدين وعموده الصحفي الشهير "منظور سودانوي" دليلاً على ذلك.

والمتابع لأشعار تلك الفترة يلحظ مدى التحولات والأفكار خاصة في مجال الشعر الغنائي عند الدوش والتجاني سعيد وهاشم صديق وغيرهم وتغير المفهوم السائد عن نظرة غناء الحقيبة

عن المرأة والتغني بماديات ومحسوسات الجسد إلى غناء محمل بالرموز والدلالات وأصبحت المرأة في كثير من الأشعار تعني الوطن والفكرة- والملاحظة الأخرى للتحولات في مطلع السبعينيات بروز ما عرف بتيار الإغتراب إذ أصبحت منطقة الخليج منطقة جذب بعد أكتمال تدفق البترول وأصبح السعي للإقتراب منحى ظاهراً. إما من تيار المعارضة خاصة الإسلاميين وأما للسعي لكسب المادي المباشر. وتزامن مع الإغتراب تزايد النمط الإستهلاكي والثراء المفاجئ مما كان له الأثر الكبير في عدة مجالات، والمتتبع لأغاني البنات يلحظ ذلك جيداً (وبتأثر الإغتراب والبعثات المتتالية لضبط الجيش ظهرت ما عرف بمدن الدرجة الأولى. وخير مثال لها مدينة النيل والرياض والمنشية) (محمد عبد الحي 2005م) فتكونت على أثر ذلك طبقة تكاد تكون جديدة لها ثقافاتها وعاداتها المدنية وكذلك طريقة لبسها وغير ذلك.

وشهد النصف الثاني من السبعينيات تحولات مهمة أبرزها في ما عرف بالمصالحة الوطنية بين حكومة مايو وأحزاب الجبهة الوطنية وأبرز رموزها الصادق المهدي وحسن الترابي. بعدها احتدم الصراع الفكري بين رموز وكتاب الإسلاميين وزعيمهم حسن الترابي وتجاربهم فيما عرف بأسلمة الإقتصاد وتجربة بنك فيصل الإسلامي. وبنايته المميزة إنئذٍ "الفيحاء" وبين رموز مايو واليسار عموماً. خاصة بعد ميل النميري للتوجه الإسلامي وقوانين مهدي مصطفى الهادي محافظ الخرطوم حينها بمدنها الثلاث في تحريم التوتو كورة وتحريم الخمر والميسر ومنازل الدعارة والتي حفظتها الذاكرة الشعبية السودانية تحت مسمى "البيوت" وغير ذلك. والتي توجت بعد ذلك بما عرف بقوانين الشريعة أو قوانين سبتمبر على حسب توجه ورأي قائلها.

ويرى البوني(البوني 2007م). أن هناك إشارات مهمة أثرت فى التحولات في السبعينيات تمثلت في الحوار الديني المتعمق والفقهي على مستوى حركة الجمهوريين*. بقيادة محمود محمد طه وتأثير كثير من المفكرين والمثقفين بها. وعلى مستوى الحوار الفكري والنقاش ما بين منصور خالد وعبد الجبار المبارك والحوار الصوفي- السلفي- العلماني وهذه التيارات لم يعرف لها مسعى مباشر للسلطة وترك لها نظام مايو الفرصة لكي تنمو وتتطور.

أن السلم التعليمي بقيادة محي الدين صابر والذي بموجبه أرتفع الفاقد التربوي من رابعة إلى الصف السادس أحدث تحولات مهمة على جانب العملية التعليمية وظهور العامل الحرفي من عمال ميكانيكا وعمال البناء وغيرهم من الذين أرتفع مستوى التعليم عندهم وزيادة فاعلية نقابات العمال وخير مثال عمال نقابة السكة حديد بعطبرة والذين لعبوا دوراً معروفاً في الأضرابات المتعددة التي واجهت حكم الرئيس نميري.

الخاتمة

يرى الدارس أن تلك المرتكزات الفكرية والإجتماعية توجت بفترة السبعينيات في حراكها الثقافي الكثيف والمتعمق والتي مثلت فترة النضج للسودان الحديث ثقافياً على الأقل، أكتملت فيه التجارب وكذلك الأسئلة بكل نجاحاتها وانكساراتها، ولعل ظهور جيل من كتاب الدراما وانتظام المواسم المسرحية وارتباط التأليف المسرحي والدرامي عموماً بالشعر – مثل تجارب الدوش وهاشم صديق وسعد الدين ابراهيم وعز الدين هلالي والطيب مهدي وعثمان جمال الدين وعثمان البدوي ومن ثم قاسم أبو زيد وجمال حسن سعيد وغيرهم صبغ ذلك المنتوج بصبغة التحولات المتوالية والعنيفة أحياناً التي شهدها السودان الحديث، واللافت للدراسة والتحليل أن كتابا ومفكرين بذاك التأثير وبتلك المؤهلات لم يكتب لهم الدور المباشر في صناعة الأحداث اليومية ومآلاتها والتي أضحت نهبا للتجريب ولأفكار لم تلتفت للمكون الثقافي للمجتمع السوداني، لتبدأ رحلة النظر في الحلول متأثرة بالطبع بالمحيط الإقليمي والعالمي وأكبر التحديات من وجهة نظر الدارس أن المعضلة التاريخية في تماس الثقافي مع محيطه السياسي لم يتم التحاور حولها بشكل جذري وحاسم لتصبح كثيراً من القضايا الملحة نهبا للمعالجات الضيقة والآنية والعجولة فالمجتمع بالطبع ومن طبيعة اقداره الكونية لا يستجيب للتغيرات القهرية ولا الغريبة على مكوناته ومرتكزاته.وتمثل فترة التسعسنيات والتى لم تشملها الدراسة تحتاج لحوار خلاق ومسئول .

قائمة المراجع

1- القرآن الكريم.
2- أنعام عامر. سوق أم درمان يحكي قصة مدينة وعراقة شعب، أغسطس، 2005م
3- ارثر ابرا جرجر. النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية؛ ترجمة وفاء ابراهيم ورمضان بسطاوي ._ القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ،2003م.
4- صلاح الدين علي الشامي. السودان دراسة جغرافية.- ط2.-الإسكندرية:المعارف. 2000.
5- عبدالله ابراهيم الطاهر. بيليوغرافيا الصحافة السودانية في قرن.- ط2 .- الخرطوم : المجلس القومي للصحافة، (د-ت).
6- عبد الرحمن عزي. الفكر الإجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية.- الجزائر: دار الأمة، 1995.
7- قاسم عثمان نور. أضواء على الحركة الوطنية السودانية.- الخرطوم: وزارة الثقافة، 2004.
8- محجوب عمر باشري. معالم تاريخ السودان.- السودان : الدار السودانية للكتب ،2000.
9- مهدي عامل. مقدمات نظرية.- بيروت : دار الفارابي ، 1973.
10- محمد ابراهيم نقد. في حوارات مع ضياء الدين بلال.- صحيفة الرأي العام، مايو ، 2007.
11-محمد أحمد الزعبي. مدخل منهجي لدراسة الفكر الإجتماعي الحديث.- مجلة المستقبل العربي ، ع346، (د-ت).
3- محمد أحمد المحجوب. موت الدنيا.- الخرطوم : منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية، 2005.
4- محمد المكي ابراهيم. في ذكرى الغابة والصحراء.- أم درمان : مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي ، 2008.
5- حوار مع الواء محمد عبد الحي (الرئيس السابق لبيت الثقافة ومدير الأطراف الصناعية وكذلك الحاكم الأسبق للإقليم الأوسط) تاريخ الحوار 2005/7/23م.
6- محمد عمر بشير. تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900-1969 .- ط2.- بيروت: دار الجيل، 1987.
7- يوسف فضل حسن. الطبقات في خصوص الأولياء الصالحيت والعلماء والشعراء في السودان.- (د-م) :(د-ن) ، 1992.
8- يحي الفضلي. الفجر .- مقابلات الجزء الثالث ،مج 3، ع9.

9- يمني العيد. الراوي الموقع والشكل .- بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية،(د-ت)
10- مالك بن نبي .شروط النهضة؛ ترجمة كمال مقساوي وآخرين.- (د-م): دار الفكر، 1979.